الإحالة ودورها في تماسك النص الشعري النابغة الذبياني أنموذجًا

إعداد الباحث

صديق محمد صديق عبد الفتاح

دكتوراة في الأدب العربي

تحدث النقاد كثيرًا عن موضوع الوحدة العضوية في الشعر العربي القديم، وتباينت آراؤهم ما بين مثبت لها ونافٍ، ويمكن لنا من خلال التطبيق لعناصر التماسك النصي أن نثبت ترابط هذه النصوص وعلاقة أجزاء القصيدة ببعضها، أو تحقق الوحدة العضوية بالقصيدة الجاهلية كما يسميه النقاد.

وتعدُّ عناصر التماسك النصي –من إحالة وتكرار وتناص وحذف واستبدال– لغوية، إلا أن «اللغة هي السبيل الوحيد لبناء القصيدة، وعندما أقول بناء القصيدة أعني بها كل ما يكونها بوصفها قصيدة ... ومن هنا تأتي أهمية النظر إليها بوصفها بناء لغويًّا...؛ ولذلك لا بد أن يكون البحث في خصوصية هذه اللغة ومميزاتها الخاصية»[1].

ولا بدَّ للنظر للقصيدة على أنها متكاملة لا يغني جزء منها عن جزء آخر، ونص واحد يتفاعل بعضه مع بعض بطبيعة الحال «وقد تبدو القصيدة في بنيتها الظاهرة جامعة لعدد من الصور ليس بينها –كما قد يظهر– رباط جامع، إلا أنها جميعا في قصيدة واحدة ذات وزن واحد وروي واحد، إننا نظلم الشعر ظلما بينًا إذا نظرنا إلى القصيدة على أنها كذلك بل لا بد أن تكون للقصيدة بنية عميقة تجمع هذه الصور في إطار واحد على تباعد ما بينها ظاهريا، غير أن هذا الإطار يتسع لضم هذه الصور بحيث تكون كل صورة منها معادلا لبعد معين من أبعاد القصيدة، وبين هذه الأبعاد خيوط ناسجة، وعلاقات رابطة»[2].

هذا النص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه وترابط أجزائه، ولا بد للبحث عن خيوط هذا النص المنسوج، والروابط المحققة لهذا التماسك والتناسق الرائع، وعلى المتصدي «لتفسير النص

(1) الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، محمد حماسة عبد اللطيف، (ص: ٣5).

(2) المرجع السابق، (ص: 30).

أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها، وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة تتمثل في بعض الأدوات ... أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية، وهذه العلاقات الدلالية هي التي، تكون في النهاية خيطًا قويًّا يربط النص رباطًا خفيًّا يحتاج إلى تلطف لكشفه»[3].

ومن هنا يحاول البحث إثبات تحقق هذه الوحدة العضوية وهذا الترابط النصي في القصيدة الجاهلية بصفة عامة، وفي شعر النابغة بصفة خاصة، وذلك من خلال إثبات وسائل التماسك النصي، ومحاولة الوقوف على العلاقة المشتركة بين علم اللغة والدراسة الأدبية مع تحديد النص على أنه الوحدة الأساسية، وما طرأ عليه من تطورات، مع الإشارة إلى الجوانب الهامة والنتائج الممكنة لهذه التطورات الجديدة.

ومن أهم ما نقف عليه في عناصر التماسك النصي هو الإحالة، وسنقف على تعريفها في اللغة والاصطلاح، ودورها في تماسك أجزاء النص الأدبي:

& الإحالة لغة:

يقول ابن أبي اليمان: «والحول: القوة والحول: السنة، يقال: قد حال عليه الحول والحول: مصدر حال الرجل في ظهر دابته يحول إذا وثب عليه واستوى على ظهره»[4].

وقال ابن فارس: «الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرك في دور، فالحول العام، وذلك أنه يحول، أي يدور...؛ يقال: حال الرجل في متن فرسه يحول حولا وحؤولا، إذا وثب عليه، وأحال أيضا. وحال الشخص يحول، إذا تحرك، وكذلك كل متحول عن حالة»[5].

وجاء في لسان العرب: «والمحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوله: جعله محالًا، وأحال: أتى بمحال، ورجل محوال: كثير محال الكلام وكلام مستحيل: محال، ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته ... ويقال: حلت بينه وبين ما يريد حولًا وحؤولًا»[6].

ونستنتج من النقول السابقة أن المعنى اللغوي للإحالة يدور حول معاني التغير والتحول؛ وهو ما نجده متناسبًا مع المعنى الاصطلاحي للإحالة.

---

(3) المرجع السابق، (ص: ٣٩).

(4) التقفية في اللغة، ابن أبي اليمان، (ص: 624).

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 121).

(6) لسان العرب، ابن منظور، (11/ 186).

& الإحالة اصطلاحًا:

يعتمد محلِّل النص على الإحالة؛ كونها مادة أولية يحاول من خلالها إثبات اتساق النص، وتعدُّ أيضًا عنصرًا من العناصر الاتساقية في النصوص، ويقصد بالإحالة أنها «لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي علاقة دلالية، ومن ثَم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه»[7].

والإحالة هي علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات أو بين الدال والمدلول، «فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها , فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل»[8]، وبهذا التعريف نجده يعرف الإحالة على أنها العودة والرجوع إلى المرجع المحال عليه وهذا نوع من أنواعها.

وعرفت الإحالة بأنها: «استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة»[9]، أو تكون كلمة لاحقة أو خارجة بما يؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويضي عنه بعنصر ما بما يسهم في تحقيق التماسك النصي، ومن ثم فالإحالة تقوم على مبدأ التماثل بين العنصر الإحالي وما سبق ذكره في مقام آخر بما يؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويض عنه بعنصر ما بما يسهم في تحقيق التماسك النصي[10].

وتقوم على نوعين من الربط الدلالي هما:

- ربط دلالي يوافق الربط البنيوي أو التركيبي.
- وربط آخر هو ربط دلالي إضافي وهو الربط الإحالي الذي يمد جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص؛ إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد من تلك الأجزاء عناصر متناغمة ومتناسقة[11].

(7) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 17).

(8) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص دراسة معجمية، نعمان بوقرة، (ص: 81).

(9) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، (39/1).

(10) انظر: مقال بعنوان: قراءة نحوية نصية في سورة ص، عرفة عبد المقصود عامر، (ص: 75).

(11) المرجع السابق، (ص: 98).

والعنصر الإحالي: هو «كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالية»[12].

& دور الإحالة في تماسك أجزاء النص الأدبي:

هذا ما أقره علماء نحو النص، فإن النص له بداية ونهاية، ومجال وسط قد يطول ويقصر، وهي النقاط لا تفهم معزولة عن غيرها داخل النص، ويمكن التوقف عند أي واحدة منها وفصلها عن غيرها، وكل مكون من مكونات النص يعد نقطة تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثًا، وتتعدد بها الذوات إن كانت ذاتًا، ويمكن العودة إليها عن طريق الإحالة، ولا يتوقف دور الإحالة في تماسك النص عند حدود الجملة الواحدة، بل يتصل دورها إلى جميع أجزاء النص المتباعدة فيقدر القارئ على أن يرجع إلى مقدمة النص بعدما يصل إلى خاتمته كل ذلك من خلال الإحالة[13].

يقول كلاوس برينكر: «ومن الأهمية بمكان الآن أن التعبيرات المرجعية يمكن أن تكون ذات امتداد متباين، إنها يمكن ألا تكون ضمائم فحسب، بل يمكن أن تكون جملًا أو تتابعات جملية»[14]، ولا يقف دور الإحالة عند الترابط اللفظي فقط، وإنما تعمل على الترابط اللفظي والترابط المعنوي، فإن المتأمل لدور الإحالة يعلم أنها وسيلة كبرى في تماسك النص وتجسيد وحدته العامة، «وهي لا تقل دورًا وأهمية عن بقية الوسائل مثل التكرار والحذف... إلخ، بل إنها تعد الوسيلة الأكثر قدرة على إيجاد تماسك وترابط وصنع وحدة نصية، وذلك لأنها تقرن بين الترابط الوصفي والترابط المفهومي، أي بين ما هو لفظي، وما هو معنوي»[15].

ولا يتم الاتساق في المستوى الدلالي فقط، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، فالنص الأدبي بجميع أجزائه يصير كالجملة الواحدة التي تتسلسل كلماتها الواحدة بعد الأخرى. وهذه الجمل داخل النص تكون بمثابة الكلمة الواحدة المكونة من حروف متتالية مترابطة كل حرف بعد أخيه، ومن ثم «فإن

(12) نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، (ص:131-132).

(13) انظر: المرجع السابق، (ص: 43).

(14) التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، (ص: 45).

(15) الإحالة في نحو النص. دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 59-60).

تماسك النص ينبع من طبيعة النص نفسه، ويتحقق عندما يتوقف فهم كل جملة من جمل النص على ما يفهم من الجمل الأخرى»[16].

& عناصر الإحالة

هذه العناصر تطلق على «قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر... فهي إذن مزدوجة الدور في اللغة:

- تشير وتعين المشار إليه في المقام الإشاري، فهي غير ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها، ويكتفي سامعها بها في تحليلها.
- تعوِّض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حسي أو غيره»[17]، لأنها لا تستقل في الدلالة بنفسها وتوصف بأنها «أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر»[18].

ولا تتشكل الإحالة ولا يمكن أن يتحقق الربط الإحالي إلا من خلال توفر أربعة عناصر لا تتم العملية الإحالية إلا بها؛ هذه العناصر هي:

1- **المتكلم**: وهو منشئ النص، وهو العنصر الأساسي للنص وما تجري به عملية التخاطب، والإحالة عمل إنساني وليست من خواص المركب الاسمي، والمتكلم هو العنصر الأساسي للنص وما تجري به عملية التخاطب[19]، ولا يقع النص إلا من خلال إرادته واعتقاده وقصده، وأهل اللغة أول ما ينظرون إلى النص فإنهم ينظرون إليه بحسب أحوال المتكلم، فإذا علموا واعتقدوا وقوع الكلام وصفوه بأنه متكلم، ومتى لم يعلموا أو يعتقدوه لم يصفوا بأنه متكلم، فجرى هذا الوصف في معناه مجرى وصفهم لأحدنا بأنه ضارب ومحرك ومسكن وما أشبه ذلك من الأفعال[20].

(16) مقال بعنوان: دور نحو الجملة في تفسير النص، ليلي يوسف، (ص: 30).
(17) نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 118).
(18) المرجع السابق، (ص: 116).
(19) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، (ص: 173).
(20) انظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، (ص: 44).

2- **العنصر الإحالي أو اللفظ المحيل**: وهذا العنصر ينبغي أن يتجسد إما ظاهرًا أو مقدرًا كالضمير أو اسم الإشارة، وهذا العنصر هو ما يغيرنا من اتجاه إلى آخر داخل النص أو خارجه.

3- **المحال إليه**: وهو العنصر المنوط بالإشارة من قبل العنصر المحال، وهو موجود إما داخل النص أو خارجه، فهو مشارك له في العملية الإحالية؛ من دلالات أو عبارات وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المحال إليه، «فماضي البنية على مستوى التولد كمستقبلها على مستوى الاستقبال، كلاهما عنصر تكويني من عناصرها»[21].

4- **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه**: فمن المفترض أن يكون التطابق مجسدًا بين اللفظ المحيل والمحال إليه[22]. وعنصر التعلق «ذوات أو مفاهيم جرى التعبير عنها في شكل أسماء مفردة أو مركبات اسمية، تذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة في النص ونطلق عليها اسم العناصر الإشارية، ثم يحال على كل واحد منها عن طريق المضمرات (ضمير الشخص خاصة) كلما دعت الحاجة إلى ذكره مرة أخرى»[23].

وإذا كان المتلقي لا يعثر على المحال إليه داخل النص الأدبي فإنه يتوصل إليه من خلال الحال أو المقام؛ لذلك يطلق البعض عليها الإحالة المقامية[24].

& شروط الإحالة:

لا بد من توافر بعض الشروط للإحالة في النص الأدبي لكي يتحقق فيه الترابط النصي عن طريقها، وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: التطابق الإحالي:

ويقصد به شيئان:

(21) نظريات معاصرة، جابر عصفور، (ص: 244).

(22) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 16).

(23) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 126).

(24) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 17).

أ- «وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه»[25]، فيجب مراعاة تطابقه بين المحيل والمحال إليه نوعًا (تذكيرًا وتأنيثًا)، وعددًا (الإفراد والتثنية والجمع).

ب- «الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع»[26]، ففي المثال: «جون أعزب، إذن فبيتر غير متزوج فهو مثال غير مقبول، ومن ثم ليس مترابطًا ... أي: أن يكون نفس الشخص متحدثًا عنه في طرفي الجملة»[27].

الشرط الثاني: ترابط الوقائع التي تشير إليها القضايا:

ففي جملة نحو: جون أعزب إذن فقد اشترى كثيرا من الأسطوانات هي جملة غريبة بتعبير فان دايك رغم أن المتحدث عنه هو هو، وتكمن غرابتها في أننا لا ندري من أي منظور يمكن أن يتعالق واقع كون جون أعزب وواقع شرائه كثيرا من الأسطوانات[28].

على أن تعالق الوقائع ينبغي أن يستجيب لبعض الشروط، منها:

أ- الترتيب الزمني.

ب- مراعاة العلاقة بين السبب والنتيجة.

الشرط الثالث:

إعطاء القدرة الكافية للمتلقي أن يتعرف على المحال إليه وعلى قصد المتكلم من استخدام الإحالة، وكلما تم ذلك بسهولة ويسر كانت الإحالة ناجحة[29].

الشرط الرابع:

(25) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 17).

(26) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 119).

(27) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 32).

(28) انظر: المرجع السابق، (ص: 32).

(29) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 60).

الوضوح وعدم الغموض، حيث يشترط في الإحالة أن تكون غير ملتبسة أو غامضة ويمكن أن يأتي هذا الغموض بتعدد المحال إليه وإمكانية أن تعود الإحالة إلى كل من هذا المتعدد(30).

الشرط الخامس:

وجود صورة متخيلة لدى المتلقي لما يحال إليه، وهذا ما ذهب إليه أحمد المتوكل في قوله: «يشترط في نجاح عملية الإحالة على ذات ما (واقعية أو غير واقعية) أن يكون للمخاطب تمثيل ذهني لهذه الذات. مثال ذلك: أني إذا أردت أن أحيل المخاطب على أهرام مصر فيتوجب إما أن يكون لدى المخاطب صورة ذهنية لهذه الآثار أو أن أمده بالمعلومات التي تكون هذه الصورة قبل أن أحدثه عنها»(31).

& أقسام الإحالة:

أولًا: أقسام الإحالة من حيث المدى:

تنقسم الإحالة من حيث المدى الإحالي الفاصل بين الأداة وما تشير إليه وتصدق عليه إلى نوعين:

1- إحالة ذات مدى قريب:

تكون المسافة الفاصلة بين العنصر المحال والمحال إليه في هذا النوع من الإحالة صغيرة لا تتعدى الجملة الواحدة، وتكون قوية الصنع في ترابطها واتساقها، وتجمع بين العنصر الإحالي ومفسره.

2- إحالة ذات مدى بعيد:

تكون المسافة الفاصلة بين العنصر المحال والمحال إليه في جمل متباعدة من النص، «وتظهر الإحالة في فضاء النص المتباعد، حيث يظل فيها المتلقي مترقبًا لتصيد ما تشير إليه الأداة الإحالية ... غير أنه ينبغي الإشارة إلى كلام روبرت دي بوجراند الذي أكد فيه أنه ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة حيث يمكن أن يسبب ذلك غموضًا أو لبسًا أو قلقًا عند المتلقي يفقد معه متابعة النص»(32).

وللإحالة هنا دور ملحوظ في تماسك أبيات القصيدة المتباعدة، بوصفها العامل الرئيس لتأليف القصيدة لا ما تقوم به من ربط بين الجمل.

ثانيًا: أقسام الإحالة من حيث الإفراد والتعدد:

(30)الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 60).

(31) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، (ص: 140).

(32) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 54).

تنقسم الإحالة من حيث الإفراد والتعدد إلى نوعين:

النوع الأول: الإحالة الأحادية:

هي أن يصدق العنصر المحال على شيء واحد، فعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ﴾ [البقرة: 67، 68]، لقد تحدد مرجع الضمائر مع تعددها وتكرارها، فكل ضمير يعود إلى ما هو له دون احتمال، فالهاء في ﴿ۀ﴾، والضمير المستتر في : ﴿ڻ﴾، و﴿ﮭ﴾، جاء لموسى دون غيره، أما الضمير في: ﴿ﯤ﴾، وفي: ﴿ﯓ﴾ فقد جاء لقوم موسي دون احتمال. أما الضمير في قوله : ﴿ﯘ ﯙ﴾ فقد جاء للمولى عز وجل دون احتمال آخر، وهذا مما يساعد على اتساق النص ودلالاته وأحكامه.

النوع الثاني: الإحالة الموسعة:

إذا كانت أسماء الإشارة بجميع أنواعها محيلة قبلية أي: تربط بين القبلي والبعدي أو بين جزء لاحق بجزء سابق عليه، وبذلك تساهم في تناسق النص واتساقه، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بهذه الإحالة الموسعة، يعني: إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[33]، أو ربما كل الخطاب فتنشط الإحالة مساحة كبيرة من المعلومات بشكل واسع، والمتأمل في القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة من هذه الإحالة الموسعة، كما في قوله تعالى: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ [المائدة: 54] حيث يحيل لفظ ﴿ﯙ﴾ إلى ما سبق في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ﴾ [المائدة: 54][34].

وقد سمى الأزهر الزناد هذه الإحالة "الإحالة النصية"، وذكر أنها عنصر معجمي على مقطع من النص، وعرضها وأجاز جمعها في قسمين؛ «هما:

- إحالة معجمية: تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر دال على ذات أو مفهوم مفرد، وهي متوفرة في كل النصوص، وهذا لا يعني أنها ضرورية، ونقترح لها مقابلًا من اللاتينية Lexophora.
- إحالة مقطعية أو نصية: تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي)، وتتوفر في نصوص دون أخرى ومقابلها Texopora»[35].

(33) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 19).

(34) انظر: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 59).

(35) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، (ص: ١١٩).

وفرق الأزهر الزناد وقارن بين الإحالة المعجمية والإحالة النصية فذكر من الفروق:

1- أن «الإحالة المعجمية أكثر تعقيدًا في بنيتها من الإحالة النصية، وهذا أمر يتعلق بنسبة الحاجة إلى كل واحدة منهما في الاستعمال اللغوي؛ ذلك أن العنصر الإحالي المعجمي بحكم ما يحيل عليه، يتواتر استعماله في سياقات متعددة في النص الواحد وفي مستويات مختلفة منه، فينتج عن ذلك تعقيد في الوحدة الإحالية التي تكونها العناصر الإحالية العائدة على المفسر الواحد. أما الإحالة النصية فتستعمل غالبا لغاية الاختصار في اللفظ، وتكون العناصر الإحالية المعجمية، نتيجة لذلك، محدودة من حيث التواتر، سياق ورودها محدود كذلك والبنية الإحالية فيها بسيطة بالاستتباع»[36].

من خلال النص السابق نعلم أن الإحالة المعجمية أكثر تعقيدًا من الإحالة النصية رغم كون العنصر الإحالي فيها يعود على محال إليه، بحكم تكرار ذلك العنصر داخل النص في سياقات متعددة في ذات النص الأدبي مما يتطلب جهدا حتى يستطيع القارئ الربط بين كل عنصر إشاري والعنصر الإحالي المرتبط به داخل فضاء النص الواسع، على عكس الإحالة النصية التي تستعمل للاختصار، والتي تتكرر فيها العناصر المحال إليها وتتعدد في حين يجمعها عنصر إحالي واحد.

2- أن «الإحالة النصية يكون العنصر الإشاري ملفوظًا دائما، أو في حيز الملفوظ إذا ما توفر خارج النص الذي تجري فيه الإحالة، أما الإحالة المعجمية فتعمل مع العنصر الإشاري في مختلف وجوه وجوده، فيكون لفظًا داخل النص أو مرجعًا خارجه في المقام» [37].

3- أن «الإحالة المعجمية تفترض أساسًا مطابقة تامة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي المرتبط به (الجنس والعدد، التعريف والتنكير، إلخ)، فمثلا لا يعود الضمير المفرد المؤنث الغائب إلا على عنصر إشاري يتوفر فيه صراحة: التأنيث -بصرف النظر عن كونه حقيقيا أو غير حقيقي- والإفراد. أما الإحالة النصية لا تعتبر هذا القيد، إذ يمكن أن يعود على العنصر الإشاري النصي عناصر إحالية نصية أو معجمية مؤنثة وأخرى مذكرة دون ضير»[38].

ومن أمثلة الإحالة الموسعة عند النابغة عن طريق اسم الإشارة، قوله:

(36) المرجع السابق، (ص: 109).

(37) المرجع نفسه.

(38) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، (ص: 109).

فما الفرات إذا هب الرياح له ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوما بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

هذا الثناء فإن تسمع به حسنا فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد

اسم الإشارة: "هذا"، في البيت الخامس يشير إلى أن الثناء والمدح السابق على اسم الإشارة قد صادف محله بأن النعمان يتصف بكل هذه المكارم والفضائل، وأن ثناء النابغة عليه ليس لطلب مقابل لعرض أو غيره، وإنما الممدوح أهل لذلك.

الوسائل التي تقوم عليها الإحالة

تتعدد وسائل الاتساق الإحالية داخل النص الأدبي ومن أهمها:

1- **الضمائر**:

للإحالة وسائل متنوعة وأدوات لا يتحقق تماسك النص إلا بوجودها، وهي «لا تملك دلالة مستقلة بذاتها بل يجب الرجوع إلى عناصر أخرى سواء داخل النص أو خارجه لتحديد المحال إليه، وقد اختلف الدارسون في تسميتها، فمنهم من سماها: "ألفاظ كنائية" عتبرًا الضمير أهم أنواعها»[39]، وقد أطلق البعض عليها مصطلح: "أدوات" فيما نقله بعض الدارسين الغربيين: «هي الأدوات التي تعتمد في فهمنا لها على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر»[40].

2- **أسماء الإشارة**: والإشارة مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، وهي تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه

(39) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، (ص: 320).

(40) تحليل الخطاب، براون ويول، (ص: 230).

الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه[41]، فهي أدوات تقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، فهي تساعد على إيجاد ترابط نصي[42]، وتتمثل في : هذا – هذه – هذان – هاتان – هؤلاء.

3- **الأسماء الموصولة**: وهي من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، لكنها تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، وتقوم على مبدا التطابق والتماثل فيما هو موجود[43]، تتمثل في : الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللائي، اللاتي.

وهذه العناصر الإحالية منها ما يحيل إلى ما هو خارج حدود النص مثل: ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، ومنها ما يحيل إلى داخل حدود النص الأدبي مثل: أسماء الإشارة.

وهذه العناصر من أقوى عوامل الربط في النص الأدبي حيث «إن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتحتوي كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة»[44].

يعمل وجود هذه الضمائر داخل النص على إعمال تماسك أجزاء النص، وأيضًا فإنه يشغل ويجذب فكر المتلقي، ويرجع به إلى الوراء مثلًا؛ ليزيل غموض النص، وكأن هذه الضمائر تمثل عناصر مؤجلة الوظيفة لحين فراغ العناصر اللغوية المعجمية من أداء دورها في حرية[45]، فهذا الضمير ما هو إلا «كلمة مجهولة الهوية تثير في ذهن المستقبل الرغبة في تذكر ما سبقها في النص ليقوم بسد الفراغ الدلالي الذي تحدثه هذه الكلمة المجهولة، وهو ما يعرف بعود الضمير، فلابد للضمير من عائد يتعلق به ويعود عليه، وبذلك يجد

(41) انظر: المرجع السابق، (ص: 117).

(42) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، (ص: 25).

(43) المرجع السابق، (ص: 27).

(44) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان – ديترفيه فجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، (ص: 23).

(45) انظر: لسانيات الاختلاف، ليلي يوسف، محمد فكري الجزار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (ص: 309).

مستقبل النص نفسه يتحرك داخل النص للأمام وللخلف ليربط الضمير بما يعود عليه ومن ثم يتحقق الربط بين عناصر النص ووحداته»[46].

تقوم هذه الضمائر بدور لا ينكر في ترابط أجزاء النص الأدبي، وهذا ما جعل فولفجانج هاينه مان يرى أن ظاهرة الإضمار «شرطا من الشروط النحوية – التركيبية الأساسية لتماسك النص، وإلى جانب كون ظاهرة الإضمار شرطا من شروط تماسك أجزاء النص عنده فهي دليل على هذا التماسك عنده أيضا. وذلك حين يقول : حين تتوقف سلسلة الإضمار تلك أو تحل محلها أخرى فإنه يبدأ بذلك نص جديد»[47].

ثالثًا: أقسام الإحالة من حيث وجود المحال إليه

وهذا النوع من الإحالة ينقسم إلى قسمين:

1- الإحالة الداخلية (النصية) Endophora.

2- الإحالة الخارجية (المقامية) Exophora.

أولًا: الإحالة الداخلية (النصية):

هي إحالة إلى داخل النص أو اللغة، ويعمل هذا النوع من الإحالة على تماسك النصوص الأدبية، حيث وجود المحال إليه داخل حدود النص الأدبي، فيحيل العنصر الإحالي إلى ما هو داخل حدود النص، أي: أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة، ومما يعد أساسيًّا هو وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما، وتقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص حتى كانت معيارًا للإحالة[48]، وينقسم إلى قسمين:

1- **الإحالة القبلية** Anaphora.

وهي إحالة تعود على مفسر سبق التلفظ به، وقد سبق ذكره في النص بمعنى أن العنصر الإحالي يشير إلى محال إليه قد سبق ذكره من قبل، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، فهي تحليل جديد من حيث هي بناء جديد للنص[49].

والإحالة القبلية أكثر ورودا من الإحالة البعدية في النصوص الأدبية بصفة عامة، أي أن الشيء الذي تصدق عليه الإحالة ويكون مقصودًا عند إطلاق اللفظ الكنائي، إنما يأتي متقدمًا على اللفظ الكنائي

(46) مقال بعنوان: دور نحو الجملة في تفسير النص، ليلي يوسف، (ص: 208).

(47) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان – ديترفيه فجر، (ص: 23).

(48) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 17).

(49) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 119).

نفسه، وفي ذلك يقول دي بوجراند: «وتأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها أي ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالا من ورودها متقدمة عليها، فرجوع اللفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي»[50]، والإحالة في هذه الحالة تقتضي العودة إلى الوراء؛ لتحديد مرجع الإحالة حيث ذكر المحال إليه، وفي هذا نوع من الربط القبلي بين أجزاء النص[51]، وتشترك الإحالة القبلية مع الإحالة البعدية في وسائل الاتساق الخاصة بهما، فلا تستقل إحداهما بوسيلة دون الأخرى، وسوف يتناول البحث:

1- ضمائر الغائب.
2- أسماء الإشارة.
3- الأسماء الموصولة.

أولًا: ضمير الغائب:

تعدُّ ضمائر الغائب من عناصر الإحالة الداخلية الهامة في ترابط النص واتساقه، وتقوم بدور لا يستطيع أحد أن ينكره، ومما تتميز به ضمائر الغائب عن غيرها قدرتها على الربط بين أجزاء متباعدة من النص الأدبي، بل قد تقوم بالربط بين أبيات قصيدة برمتها دون حاجة إلى عنصر آخر يربط بينها.

والضمائر من «العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فعلى الرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت»[52]، وضمير الغائب أكثر الضمائر غموضًا؛ إذ يحتاج إلى ما يفسره ويوضح معناه والمراد به.

ومما يعطي ضمائر الغائب هذه القدرة الفائقة في الربط بين الأبيات، هو أنها تتكرر على مدار الأبيات بصورة كبيرة ولا يشعر القارئ بالملل.

وقد ورد في شعر النابغة في قوله:

قد عريت نصف حول أشهرا جددا يسفي، على رحلها، بالحيرة، المور

(50) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، (ص: 327).

(51) انظر: الإحالة في نحو الن، أحمد عفيفي، (ص: 42).

([52]) الإحالة في شعر أدونيس، داليا أحمد موسى، (ص: 104-105).

وقارفت، وهي لم تجرب، وباع لها من الفصافص، بالنمي سفسير[53]

أحال بالضمير: "هي"، على الناقة، فيصفها بأنها قد عريت أي: أزيل عنها رحلها ستة أشهر كاملة، فأصبحت راقضة بمبركها بالحيرة، يسفي عليها التراب الناعم من كل جانب، وذلك لطول نومها وراحتها، ورغم ذلك لم يصبها الجرب؛ إذ هي قوية عفية.

ثانيًا: أسماء الإشارة:

تعتبر أسماء الإشارة من أكثر الوسائل شيوعًا في اللغة العربية؛ ولها دور فعال في ترابط النص وتحديد علاقاته اللغوية، وتقوم أسماء الإشارة بدور هام وملحوظ في ترابط واتساق النص الأدبي وهي «تسهم في تحقيق التماسك، وتتجاوز في قدرتها على تحقيق تماسك الضمائر؛ لأنها تحيل قبليًّا لجملة أو متتالية أو جزء من نص بأكمله، كما انها تربط جزءًا لاحقًا بجزء سابق»[54]، ولا يقتصر دورها على الإحالة القبلية فقط، فتحيل إلى ما سبق ذكره في النص، وتحيل كذلك إلى ما يأتي ذكره لاحقا، وقد خالف محمد خطابي في ذلك؛ فقال: «أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق ومن ثم تساهم في اتساق النص»[55].

وقد ورد في شعر النابغة في قوله:

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمامٍ شراعٍ، وارد الثمَدِ

يحفه جانبَا نيقٍ، وتتبعه مثل الزجاجة، لم تُكحل من الرمَدِ

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فَقَدِ[56]

يخاطب النابغة النعمان أنه ينبغي أن لا تنقصك الحكمة وكأنه يقول له: تعلم الحكمة من تلك الفتاة (زرقاء اليمامة) إذ كانت نظرتها دقيقة وفاحصة عندما نظرت إلى الحمام نظرة واحدة فحسبته وكانت حسبتها

([53]) الديوان (ص: 157).

(54) التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، إبراهيم مفتاح، (ص: 25).

(55) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، (ص: 19).

([56]) الديوان (ص: 23-24).

مضبوطة لا يزيد فيها عدد الحمام ولا ينقص، وعاد اسم الاشارة: "هذا" على الحمام المعدود الذي هو موضع مضرب المثل في حكمة الفتاة التي ينبغي أن يكون عليها النعمان.

ثالثًا: الأسماء الموصولة:

تقوم الأسماء الموصولة بدور عظيم في الربط لكنها لا تتعدي حدود البيت الواحد، فينحصر دورها في الربط بين جمل البيت وكلماته فتكون المسافة بين المحال والمحال إليه متقاربة، والاسم الموصول هو: «ما يدل على معين بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمى هذه الجملة صلة موصول»[57].

والاسم الموصول (الذي) يوصل بجملة قد سبق للسامع العلم بها، وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: «لا تصل "الذي" إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له، نحو أن ترى عنده رجلا ينشده شعرا فتقول له من غد: "ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر؟ "، هذا حكم الجملة بعد "الذي"، إذا أنت وصفت به شيئا. فكان معنى قولهم: "إنه اجتلب ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل"، أنه جيء به ليفصل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له، وبين أن لا يكون الأمر كذلك»[58].

ولا يطلق على الجملة أنها جملة موصولية إن لم تتضمن الجملة اسمًا موصولًا، لكن نستفيد من هذا النص أن المحال إليه باسم الموصول غالبا ما يكون معرفًا، لكن هناك حالة واحدة تأتي فيها الجملة بعد "الذي" غير معلومة لدى السامع أو المتلقي، وهذا ما رآه عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: «وذلك حيث يكون "الذي" خبرًا، كقولك: "هذا الذي كان عندك بالأمس" و "هذا الذي قدم رسولا من الحضرة، أنت في هذا وشبهه تعلم المخاطب أمرا لم يسبق له به علم، وتفيده في المشار إليه شيئا لم يكن عنده، ولو لم يكن كذلك، لم يكن "الذي" خبرًا، إذ كان لا يكون الشيء خبرا حتى يفاد به»[59].

والاسم الموصول وسيلة من وسائل الربط الاتساقي في النص، والسبب في ذلك أن «اسم الموصول يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يعطف على هذه الجملة بعده جمل فيطول

([57]) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، (ص: 142).

(58) دلائل الإعجاز، الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م، (1/ 200).

(59) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (1/ 200).

الكلام، ويكون نصا كاملا، ويظل مرتبطا كله بالاسم الموصول الأول»[60]، والجملة التي يشترط وجودها بعد الاسم الموصول هي «جملة صلة الموصول التي تصنع ربطًا مفهومًا بين ما قبل "الذي" وما بعده»[61].

وقد ورد في شعر النابغة في قوله:

كليني لهمٍ يا أميمةَ، ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ، بطيءِ الكواكبِ

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ وليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ[62]

أحال الشاعر بالاسم الموصول: "الذي"، إلى من يرعى النجوم، وقد شبه النجوم بالجو بأنعام راعية في المرعى، وتخيل لها راعيًا لم يرجع بها إلى مراحها، وأن الذي يرعى النجوم هو النجم المتقدم منها؛ لأنه إذا غاب في ضوء الصبح، غابت بقية النجوم بغيابه، فجعله مشبهًا بهوادي الوحش؛ وهي التي تمشي قدامها فتتبعها البقية.

وقوله:

أمستْ خلاءً، وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ[63]

يصف ديارهم بأنها أصبحت خالية من الأهل والونيس؛ لارتحالهم عنها، وأحال بالاسم الموصول: "الذي"، أي: الدهر الطويل الذي أفسد على لبد وهرمه وأفناه.

وقوله:

فلا لعمرُ الذي مسحتُ كعبتهُ وما هريقَ على الأنصابِ من جسدِ[64]

(60) العلاقات النصية في القرآن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين، مصطفى أحمد عبد العليم، مقال في كتاب المؤتمر الثالث للعربية، (1008/2).

(61) الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، (ص: 28).

([62]) الديوان، (ص: 40).

([63]) المصدر السابق، (ص: 16).

([64]) الديوان، (ص: 16).

في البيت إحالتين باسمين موصولين هما: "الذي"، و"ما" أحال بالأول على الله سبحانه وتعالى، وبالثاني على الذبائح التي تنحر على الأنصاب عند الكعبة.

2- الإحالة البعدية Cataphora.

هي الإحالة لما سوف يأتي ذكره لاحقًا في النص الأدبي بمعنى أن يحيل العنصر المحال إلى محال إليه لم يسبق ذكره في النص، وإنما يظل القارئ أو المتلقي منتظرا إلام يشير ذلك العنصر المشار إليه إلى أن يصل إليه في مرحلة قد تكون متأخرة عندئذ يزول الإبهام الذي كان قد وقع فيه القارئ.

ويؤكد على ذلك دي بوجراند قائلا: «تأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها أي ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالا من ورودها متقدمة عليها. فرجوع اللفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي، ومن الأكثر صعوبة أن تتصور كيف يمكن التصرف بالنسبة للعود إلى متأخر. عندئذ يتحتم للفظ الكنائي أن يركم حتى تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة، أو يترك بحسبانه حالة نحوية تظل لا مرجع لها في تحليل مهوش حتى يعثر لها في النهاية على مرجع»[65].

تظل الإحالة البعدية أكثر غموضًا وهذا ما أشار إليه دي بوجراند، ويثبت اللفظ المحال ويكون مترصدًا في النص الأدبي إلى أن يعثر على العبارة المشاركة له في الإحالة.

ولكن يرى كل من فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجر أنه في الإحالة البعدية «تثير لدى المتلقي من خلال الاستخدام المقصود لصيغ الأدوات عمليات ترتيب معينة – ضرورية لعملية فهم النص بمعنى أن كل نص لا بد أن يتوفر فيه من الأدوات ما يعين القارئ أو المتلقي على فهم النص والتوصل إلى ما تحيل إليه العناصر الإحالية الموجودة به ... هذه الملاحظة مهمة دون شك غير أنه يجب أن يضاف إلى ذلك بشكل مقيد أن المعلومة اللاحقة لا يمكن وصفها نحوًا إلا وصفًا غامضًا»[66].

فيصيب المتلقي الغموض والحيرة إلى أن يعرف ما تحيل إليه العناصر الإحالية الموجودة بالنص؛ وعلل ذلك الأزهر الزناد، فيقول: «العنصر الإشاري الذي يقوم عليه عالم النص بقى لغزا إلى آخر لحظة، أو بعبارة أخرى لم يذكر صراحة إلا في نهاية النص. ولكنه لغز مكشوف شفاف، إذ تتوفر عناصر عديدة تمكن المتقبل من تصور هذه الذات التي تملأ عالم النص وهذه العناصر كالأمارات لا يعطي الواحد منها الحل

(65) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، (ص: 327).

(66) مدخل إلى علم لغة النص. فولفجانغ هاينه مان ديتر بهشجر، ترجمة . د. سعيد حسن بحيري، (ص: 24).

بمفرده، وإنما يجب أن يربط بغيره للوصول إلى الحل تماما مثلما يجري في الألغاز البوليسية أو غيرها في القصص العجيبة مثلا»[67].

إذن فالإحالة البعدية أقل ورودًا من الإحالة القبلية في النصوص الأدبية ويرجع السبب في ذلك إلى أن «الاسم حين يذكر ويذكر بعده الضمير اختصارًا أو عوضًا عن تكرار العنصر الإشاري لا يجد قارئ النص صعوبة في فهم المقصود من الضمير حيث إنه ذكر قبلا، أما عندما يذكر الضمير أولًا فإن القارئ يقع في إبهام لوقت ما ولا يخرج منه إلا بذكر المفسر لهذا الضمير، ولأن اللغة تميل إلى الوضوح، وعدم الإبهام كانت أكثر ميلا إلى الإحالة إلى سابق»[68].

وقد وردت الإحالة البعدية في شعر النابغة في مثل قوله:

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمامْ

للحارث الأصغر والحارث الـ أعرجِ والحارث خيرِ الأنامْ[69]

يمدح النابغة غلامًا ابنًا لصاحبه الحارث الأصغر، فيبدأ الأبيات باسم الإشارة: "هذا"، بعدما أدخله صاحبه عليه مشيرًا إلى أن كل الصفات والمكارم الآتي ذكرها تنطبق على الغلام.

الإحالة الخارجية:

القسم الثاني من أقسام الإحالة هو الإحالة الخارجية ويطلق عليها علماء النص الإحالة المقامية؛ لأن المتلقي يصل إلى المحال إليه من خلال المقام.

ويعرفها الأزهر الزناد بقوله: «هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم»[70]، وبهذا فإن ضمائر المتكلم تحيل إلى ما هو خارج حدود النص وليس إلى ما هو داخله.

(67) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 192).

(68) معايير النصية، محمد أشرف عبد العال الشامي، (ص: 39).

([69]) الديوان (ص: 166).

(70) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (ص: 119).

ويرى محمد خطابي أن ضمائر المخاطب تدخل في عناصر الإحالة الخارجية؛ فيقول: لا يخلو النص من إحالة سياقية إلى خارج النص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا- نحن)، أو القارئ القراء) بالضمائر (أنت – أنتم) (71).

في حين يسمي دي بوجراند هذا النوع باسم الإحالة لغير مذكور فيقول: «وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف Context شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق anaphora، والإحالة لمتأخر Cataphora وإذا كان معنى مفهوم ما هو موقعه في عالم النص، فإن معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور exophora هو مكانه في عالم النص مع التركيز على عالم الموقف الاتصالي»(72).

ويرى كل من ج. براون ويول في تحليل الخطاب أنه ليس لهذا النوع من الإحالة دور في ترابط النص وذلك لأن «الإحالة إلى الخارج النصي تتطلب من المستمع أن يلتفت خارج النص حتى يتعرف على الشيء المحال عليه»(73).

ويقول كل من يول وبراون : «فمتى كان الشيء المحال إليه خارج النص في السياق أو المقام، فإن العلاقة تسمى خارجية حيث إنها لا تلعب دورا في ترابط النص ومتى كان الشيء المحال عليه داخل النص فلدينا علاقة تسمي داخلية، وهي تلعب دورا في تماسك أجزاء النص»(74).

1- **ضمير المتكلم:**

تعتبر ضمائر المتكلم التي تشير إلى صاحب الكلام من المبني وليست معربة؛ وهو بناء من النوع الثابت الذي لا يتغير في أيّ حال كانت، وهو ثبوت حركة لفظ آخر الكلمة، وتنقسم إلى ضمائر منفصلة مثل: أنا ونحن وإياي وإيانا، وضمائر متصلة، مثل: ياء المتكلم ونا المتكلمين وتاء المتكلم.

وقد ورد في شعر النابغة في قوله:

وقفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائِلُها عَيّتْ جواباً، وما بالرَّبعِ من أحدِ

(71) انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، (ص: 19).

(72) النص ولخطاب والإجراء، دي بوجراند، (ص: 332).

(73) تحليل الخطاب، ج يول . ج ب بروان، (ص: 238).

(74) المرجع السابق، (ص: 230).

إلاّ الأواريَّ لأياً ما أُبَيّنُهَا والنُّؤي كالحَوْضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ[75]

الضمير في تاء الفاعل: "وقفت"، يحيل إلى وقفة الشاعر بالديار وهي خالية من أهلها، وكان ذلك وقت الأصيل قبل الغروب، وأنه لشدة حزنه وتوجعه لم يمنعه ضيق الوقت وقصره من الوقوف بالديار والسؤال عن أهلها.

وقوله:

أُنْبِئْتُ أنّ أبا قابوسَ أوْعَدَني ولا قرارَ على زأرٍ منَ الأسدِ[76]

الضمير نائب الفاعل في "أنبئت" يحيل إلى الخبر الذي نمى إلى علم النابغة أن النعمان توعده وأنه ارتجف لهذا الوعيد ويقر بنفسه أنه لا اطمئنان له أمام زئير الأسد أي: النعمان.

2- **ضمير المخاطب.**

ويقصد بالمخاطب الآخر في عملية الخطاب، «وهو الذي يوجه إليه المرسل أو المتكلم خطابه، بحيث يستحضر المرسل ذهنيا المرسل إليه، ويكون حاضرًا في ذهنه، وهذا ما يهم في حركية الخطاب بين المرسل والمرسل إليه»[77].

وقد ورد في شعر النابغة في قوله:

إنّا اقتَسَمْنا خُطّتَيْنَا بَيْنَنَا فحملتُ برةَ، واحتملتَ فجارِ

فلتأتينكَ قصائدٌ، وليدفعن جيشًا إليكَ قوادمَ الأكوارِ[78]

الإحالة في: "واحتملتَ"، و"فلتأتينكَ"، "إليك"، أحال بالأول إلى أنه كانت مقاسمة بين الشاعر وزرعة في خصلتين، فاحتمل النابغة البرة منها، واحتمل زرعة الفاجرة؛ إذا دعا النابغة إلى الغدر بحلفائه بني أسد

([75]) الديوان، (ص: 14).

([76]) الديوان (ص: 26).

(77) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، (ص: 48).

([78]) الديوان (ص: 55).

ونقض حلفهم، وأحال بالثاني والثالث إلى أنه توعده بالغزو وأنه سيدفع إليه جيشًا من رجال يركبون الإبل ويقودون الخيل وينهضون نحو زرعة.

&&&

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

ديوان النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم إصدار دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثانية.

ثانيًا: المراجع:

- الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ٢٠٠١م.
- الإحالة في شعر أدونيس، داليا أحمد موسى، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.
- الإحالة في نحو النص. دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، كليه دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.ت.
- الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، كليه دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.ت.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- أنظمة الربط في العربية- دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ط١، ١٩٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت.
- تحليل الخطاب، ج يول . ج ب بروان، ترجمة وتعليق : محمد الزليطني، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود - الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-١٩٩٧م.
- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة وتعليق وتمهيد: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار.
- تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989م.
- التقفية في اللغة، ابن أبي اليمان، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، 1976م.

- التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، إبراهيم مفتاح، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتب الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 1426هـ-2005م.
- دلائل الإعجاز، الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ_1982م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.
- العلاقات النصية في القرآن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين، مصطفى أحمد عبد العليم، مقال في كتاب المؤتمر الثالث للعربية.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، ٢٠٠٠م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، د.ت .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، أحمد المتوكل.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ.
- لسانيات الاختلاف، ليلي يوسف، محمد فكري الجزار، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1991م.

- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان – ديترفيه فجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٩م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988م.
- معايير النصية، محمد أشرف عبد العال الشامي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ٢٠٠٣م.
- مقال بعنوان: دور نحو الجملة في تفسير النص، ليلي يوسف، كتاب المؤتمر الثالث، الجزء الأول.
- مقال بعنوان: دور نحو الجملة في تفسير النص، ليلي يوسف، كتاب المؤتمر الثالث، الجزء الأول.
- مقال بعنوان: قراءة نحوية نصية في سورة ص، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، عرفة عبد المقصود عامر، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، الجزء الثاني، فبراير 2005م.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م.
- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 1418هـ-1998م.
- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 1418هـ-1998م .

نظريات معاصرة، جابر عصفور، ا